

رجل من بنى حنيفة - ١

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيلاً قبل نجد ، فجاءت برجل من بنى حنيفة ، يقال له ، ثمامة بن أثال ، سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم فقال له : " ماذا عندك يا ثمامة ؟ "

قال : عندي يا محمد خير. إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت .

حتى إذا كان الغد قال : " ماذا عندك يا ثمامة ؟ "

قال : ما قلت لك ؛ إن تنعم تنعم على شاكرك، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال ؛ فسل تعط منه ما شئت .

فتركه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى كان بعد الغد ، فقال :
" ماذا عندك يا ثمامة ؟ "

فقال : عندي ما قلت لك . إن تنعم تنعم على شاكرك ، وإن تقتل تقتل ذا دم
وإن كنت تريد المال ؛ فسل تعط منه ما شئت ..

" حديث صحيح أخرجه البخاري وآخرون "

.....
يضع الإسلام أسساً إنسانية للتعامل مع الأعداء والخصوم ، تظل منارة هادية لكل من يريد الهداية والسلوك الإنساني القويم ، وفي الوقت ذاته ترد على من يظلمون الإسلام ويتهمونهم بغير حقيقية ، وتلصق به ما ليس فيه .

إن العلاقة مع الآخر ، ولو كان عدواً لدوداً تأخذ صورة غير مسبوقه فى التاريخ الإنسانى ، حين نقيسها بمقاييس الإسلام التى تقدم السلام والمودة والخير

على الحرب والكراهية والشر .. فما انتشر الإسلام بالسيف كما يردد المفترون
الظالمون ، ولا ساد بالعنف والاضطهاد كما يرجف المفترون الطاغون .

و هذه القصة النبوية الشريفة تقدم لنا حدثاً واقعياً جرى على أرض
نجد فى قلب الجزيرة العربية ، حيث قبيلة من أشهر قبائلها وهى قبيلة بنى
حنيفة.. فقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم - كما يروى أبى هريرة رضى الله
عنه - مجموعة من الفرسان إلى نجد أو أرسل خيلاً قبل نجد ، أى نحو نجد كما
يقول أبو هريرة .

وكان إرسال هذه المجموعة لتأمين المسلمين وإتقاء شرّ من يهددهم بالإغارة
أو شن الحرب .

و استطاع الفرسان أن ينجحوا فى مهمتهم ، ويأسروا " ثمامة بن
أثال " سيد أهل اليمامة ، وهو من بنى حنيفة .. وكان عليه أن يخضع لما يخضع له
الأسرى وفق مفهوم هذا العصر وتقاليد وقيمه فى التعامل مع الأسرى .

بالطبع لم يكن هناك آنئذ أماكن احتجاز للأسرى أو سجون
أو معتقلات يوضع فيها أسرى العدو ، ولكن التحفظ على " ثمامة " اقتضى ربطة
بسارية ، أى عمود من سوارى المسجد حتى لا يهرب ، ثم يرى المسلمون فيه ما يراه
رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

و كما نرى فالقصة تجرى فى تسلسل قصصى يشوقنا إلى معرفة بقية
الأحداث التى تتصاعد شيئاً فشيئاً .. فالشخصية المهمة فى القصة هى شخصية
زعيم بنى حنيفة و سيد أهل اليمامة ، وهو ليس رجلاً عادياً أو بسيطاً ، وقد جرى به
أسيراً إلى المدينة المنورة وتم ربطه فى سارية المسجد حتى يُنظر فى أمره ، فماذا
جرى له ؟

لقد خرج الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى ثمامة ، و سأله :

"ماذا عندك يا ثمامة ؟"

والسؤال هنا يعنى أكثر من معنى أو أكثر من مستوى دلالى ، ولكنه يريد بصفة عامة أن يستخرج ما فى باطن الرجل من رأى ورغبة .

كأنه - صلى الله عليه وسلم - يسأله : أى شىء عندك يا ثمامة ؟
أو ماذا تظن أن أفعل بك يا ثمامة ؟

وبالتأكيد ، فإن ثمامة ، أو من فى مثل موقفه الصعب ؛ لابد أن يرجو الخير عند النبى - صلى الله عليه وسلم - الذى اشتهر بالعفو عن ظلم ، والرحمة بالضعيف والإحسان إلى المسىء..

و هذه صفات يشهد له بها أعداؤه قبل أحبابه ، حيث يروونه إنساناً فى خلقه إنساناً فى تصرفاته ، إنساناً فى مشاعره وعواطفه ، على عكس ما يصوره به المتعصبون الأشرار الذى يعيشون فساداً فيقتلون الضعفاء ويحتلون أراضيتهم ويحرمونهم من عقيدتهم وشريعتهم وينهبون بلادهم وخيراتهم ..

محمد - صلى الله عليه وسلم - يسأل ثمامة عما يظن أن يفعله به ؟
ويجيب ثمامة وفق فطرته ، والمفاهيم التى استقرت وسادت فى زمانه وعصره ،
فيقول : "عندى يا محمد خير . إن تقتل تقتلنا دم ، إن تنعم تنعم على شاكر ،
وإن كنت تريد المال ؛ فسلب تعط منه ما شئت "

إن الرجل يطرح الخيارات الثلاثة : القتل ، المنّ ، الفداء ، ولكل خيار من هذه الخيارات وجهه ومنطقه وحيثياته وفقاً لمفهوم ثمامة ، ومفهوم زمانه ، وهو ما استمع إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - أول مرة ، ولم يعلق عليه ، ثم سمعه ثانية وثالثة .

رجل من بنى حنيفة - ٢

فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه كشف لنا قصة أسر شامة بن أثال سيد أهل اليمامة ، من بنى حنيفة ، ورأينا كيف كان يردّ على النبى - صلى الله عليه وسلم . ويكرر إجابته : " إن تقتل تقتل ذا دم . إن تنعم تنعم على شاكرك . وإن كنت تريد المال ؛ فسلب تعطى منه ما شئت " .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " انطلقوا بثمامة " فانطلقوا به إلى نخل قريب من المسجد . فاغتسل ثم دخل المسجد . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله . يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى .

❖ ووالله ما كان من دين أبغض إلى من دينك . فأصبح دينك أحب الأديان إلى

❖ ووالله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك . فأصبح بلدك أحب البلاد إلى .

وإن خيلك أخذتني . وأريد العمرة . فماذا ترى ؟

فبشره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمره أن يعتمر . فلما قدم مكة قال له قائل : صبات .

فقال : لا .

ولكن أسلمت مع محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة . حتى يآذن فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم ..

من يدرس تاريخ الإسلام . وخاصة فى مرحلة البعثة . ويرى مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم - مع المشركين والكافرين والمنانقين . يتأكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام هو الذى يفرض نفسه على القلوب والعقول . وأن ما يفتربه بعض الظالمين المتعصبين عن نشر الإسلام بالسيف . هو فرية لا أساس لها من الصحة تاريخياً أو واقعياً .

إن الحروب التي خاضها الإسلام كانت دفاعاً عن وجوده ، وتأميناً لأتباعه و ترسيخاً للأمن فى ربوعه ، ولم تكن لإرغام الناس على الدخول فى دائرته ، والبحث عن الغنائم ، وإيذاء المخالفين كما يزعم المفترون المتعصبون ..

وهاجى نرى محمداً - صلى الله عليه وسلم - يترك لثامه بن أثال سيد أهل اليمامة وزعيم بنى حنيفة ، أن يختار ويقرر ، ليس من أول مرة ، ولكن بعد مرات ثلاث يقول فى كل منها :

" إن تنعم تنعم على شاكر . و إن تقتل تقتل ذا دم و إن كنت تريد المال ؛ فسئل تعط منه ما شئت "

إن الإنعام المقصود فى كلام ثامة ، هو المَن ، أى الإفراج عنه بعد الأسر ، وتركه يعود إلى أهله وقومه ...

وهذا الإنعام يستوجب الشكر... والشكر سلوك يحببه العرب و أقره الإسلام .

فكل من يحسن إليك يستوجب الشكر . " من أسدى إليكم معروفاً فاشكروه " ..

بل إن الشكر فى الإسلام يأخذ أبعاداً أعمق تصل إلى العبادة ، حيث نحمد الله ونشكره فى صلاتنا و قيامنا على ما يسديه إليه من نعم لا تحصى ، ومعروف يمتد بامتداد الزمان والمكان .

أما القتل الذى أشار إليه ثامة ، فهو القصاص من القاتل ، أو الخار للقتيل وطالما أن الأسير مطلوب دمه قصاصاً فلا لوم على النجى - صلى الله عليه وسلم - إذا قتله قصاصاً ، واشتفاء منه ..

وإنما كان المَن والقتل يمثلان الخيار الأول والخيار الثانى ، فإن الفداء هو الخيار الثالث . ومعناه ، أن يقوم أهل الأسير بدفع فدية من المال يقبل بها المسلمون كى يطلقوا سراحه .

و قد آثر الرسول - صلى الله عليه وسلم - الخيار الأول ، وهو الإنعام ، أى المَن على ثامة وإطلاق سراحه ، وهو ما جعله من خلال معاشيته للمسلمين ، يؤثر الإسلام ويعلمه .

لقد قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : " انطلقوا
بثمامة " ودهبوا به إلى نخل قريب من المسجد ، حيث اغتسل و دخل المسجد ، ونعلق
بالشهادتين : أشهد أن لا إله إلا الله . و أشهد أن محمداً رسول الله .

هكذا دخل صحابي جديد إلى دائرة الإسلام السمحاء ، بعد أن كان معادياً
شديد العداء للإسلام والمسلمين ، و أعلن عن مشاعره صراحة قائلاً يا محمد و الله ما كان
على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك ، فقد أصدح وجهك أحب الوجوه إلى .

❖ ووالله ما كان من دين أبغض إلى من دينك ، فأصبح دينك أحب الأديان إلى

❖ ووالله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد إلى ..

وهنا نراه يحب محمداً بعد بغض ، و يحب دينه بعد بغض ، و يحب بلده بعد
بغض مسجلاً مشاعر إنسانية حقيقية ترتبط بالصراع بين الحق و الباطل ، و تؤكد على أن
الرجل الذي يفىء إلى الحق هو رجل مكتمل المشاعر و العواطف لا يكتفها ولا يخفيها مهما
كانت حادة أو عنيفة ..

و تؤكد في الوقت ذاته على حب الإنسان للإنسان الذي هو نبي ، و حب
الإنسان للدين الذي هو العقيدة ، و حب الإنسان للبلد الذي هو الوطن .. وهو حب مشروع
لمن يملك المشاعر الإنسانية الحقيقية .

لقد تمنى ثمامة أن يعتمر . فبشره الرسول - صلى الله عليه وسلم - و أمره أن
يعتمر .

وفي مكة قالوا له : صبات ، أي رجعت عن دين أبائك وهو الوثنية .

و لكنه أفحمهم قائلاً : لقد أسلمت مع محمد رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - و أقسم ألا يأتيهم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها رسول الله - صلى الله
عليه وسلم . رضى الله عن ثمامة و الصحابة أجمعين .

كتب للمؤلف

الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود

أولاً : كتب صادرة عن دار النشر الدولي بالرياض

- ١- النقد الأدبي الحديث: بداياته وتطوراتاه.
- ٢- تيسير علم المعاني
- ٢- الأدب الإسلامي : الفكرة والتطبيق .
- ٤- محمد- صلى الله عليه وسلم في الشعر العربي الحديث (طبعة ثانية متقحة ومزينة ومجلدة وفاخرة) .
- ٥- المدخل إلى البلاغة القرآنية .
- ٦- القصائد الإسلامية اللوال في العصر الحديث: دراسة ونصوص (طبعة رابعة) .
- ٧- تطوّر النثر العربي في العصر الحديث .
- ٨- مدرسة البيان في النثر الحديث .
- ٩- تطوّر الشعر العربي في العصر الحديث .

ثانياً : كتب صادرة عن دار العلم والإيمان (دمشق - كفر الشيخ) :

- ١- الإخوان والنظام : برنامج الحزب المستحيل .
- ٢- وجود عربية وإسلامية .
- ٣- الورد والهالوك : شعراء السبعينيات في مصر (طبعة ثالثة) .
- ٤- الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني (طبعة ثالثة) .
- ٥- الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (طبعة ثالثة) .
- ٦- الرواية الإسلامية المعاصرة (طبعة ثانية) .

- ٧ - في رياض النبوة (٣ أجزاء)
٨ - شعراء وقضايا : قراءة في الشعر العربي الحديث .

ثالثا : إسلاميات :

- ١ - مسلمون لا نخجل (٤ طبعات) .
٢ - حراس العقيدة (٣ طبعات) .
٣ - الحرب الصليبية العاشرة .
٤ - العودة إلى الينابيع .
٥ - الصلح الأسود .. والطريق إلى القدس .
٦ - ثورة المساجد .. حجارة من سجليل .
٧ - هتلر الشرق .
٨ - جاهلية صدام وزلزال الخليج .
٧ - أهل الفن وتجارة الغرائز (طبعتان) .
٨ - النظام العسكري في الجزائر .
٩ - حفنة سطور .. شهادة إسلامية .
١٠ - لأقصى في مواجهة أفيال أبرهة .
١١ - الإسلام في مواجهة الاستئصال .
١٢ - تحرير الإسلام .
١٣ - دفاعا عن الإسلام والحرية .
١٤ - التنوير .. رؤية إسلامية .
١٥ - معركة الحجاب والصراع الحضاري .
١٦ - العصا الغليظة .
١٧ - واسلمي يا مصر .

رابعاً : كتب أدبية ونقدية :

١. الغروب المستحيل (سيرة كاتب) .
٢. رائحة الحبيب (مجموعة قصصية عن حرب رمضان) .
٣. الحب يأتي مصادفة (رواية عن حرب رمضان) .
٤. موسم البحث عن هوية : دراسات في الرواية والقصة) .
٥. حوار مع الرواية المعاصرة في مصر وسوريا
٦. لويس عوض الأسطورة والحقيقة . حوار مع الرواية في مصر وسورية .
٧. الوعي والغيبوبة : دراسات في الرواية المعاصرة .
٨. إنسانية الأدب الإسلامي .
٩. حصيرة الريف الواسعة .
١٠. أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة .

خامساً : إعلام :

١- الصحافة المهاجرة : رؤية إسلامية .

سادساً : كتب للأطفال :

واحد من سبعة .

سابعاً : كتب محققة :

١- فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي

وموقفه إزاء المدنية الغربية .

٢- أحسن ما كتبت .

ثامناً - كتب معدة للنشر :

١- التمرد الطائفي في مصر : أبعاده وتجلياته .

- ٢ - الحداثة العربية - المصطلح والمفهوم (طبعة ثانية) .
- ٣- الإبادة والمقاومة : الشعب الفلسطيني لا يموت .
- ٤ - الحكاية كلها معاصرة (دراسات في الرواية) .
- ٥ - خبز السلطة .. خبز الحرية (الحقل الثقافي في مصر المعاصرة) .
- ٦ - الحلم والدهشة (قراءة أدبية) .
- ٧ - العمامة والثقافة : دفاع الإسلام وهجوم العلمانية .
- ٨ - اللحم الإسلامي المستباح .
- ٩ - حضرت التبعية .. وغابت الهوية .
- ١٠ - صالون الشعر والأدب (اعلام وقضايا) .
- ١١ - انفكسار الدم على السيف .
- ١٢ - سورة الأنفال .
- ١٣ - نداء الفطرة .
- ١٤ - عباد الرحمن وعباد السلطان .
- ١٥ - اخلع إسلامك .. تعيش أمنا ؟!
- ١٦ - ثقافة تزغيط البط !
- ١٧ - محرقة غزة .. الشعب الفلسطيني يقاوم !
- ١٨ - القيم الإسلامية في رسائل النور .
- ١٩ - كهنة آمون !
- ٢٠ - المدافعة والمداولة - قراءة في الأفق الثقافي العام .